المؤتمر السنوي الثاني عشر

رؤى إستراتيجية: فلسطين 2023

المتغيرات الدولية العام 2023

وانعكاساتها على القضية الفلسطينية

(مسودة غير محررة للنقاش)

أ. د وليد عبد الحي

مقدمة

تمثل ظاهرة الترابط بين تفاعلات الحياة الدولية أحد اكبر المشكلات المنهجية في العلاقات الدولية، فالتغير هو السمة المركزية في هذا الميدان، فهناك تغير في الدول(ظهور دول واختفاء دول واتحاد دول وتفسخ دول)[1] والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية(تغطي موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وقانونية ...الخ)[2] وهناك التغير في بيئة النظام الدولي والقيم الدولية والأيدولوجيات والتغير في نمط العلاقات بين الحرب والسلام أو حالات اللاحرب واللاسلام، وتزايد القوى غير الدولية مثل الشركات متعددة الجنسيات والرأي العام الدولي، مع ضرورة التنبه إلى أن هناك إجماع بين الباحثين على أن التغير في البيئة الدولية تغير متسارع، وكثيرا ما شكلت القدرة على التكيف مع هذا التغير المتسارع المشكلة المركزية للكثير من الدول.[3]

وتمثل مشكلة التأثير المتبادل بين هذه التغيرات الجانب الأعقد في فهم التحولات الدولية وانعكاساتها على قضية محددة، كما أن وزن هذه التغيرات وتداعياتها المستقبلية تزيد الأمر تعقيدا، وهو ما يستوجب تحديد التغيرات المركزية في الواقع الدولي، ثم قياس أثرها على القضية موضوع البحث.

ويتم تحديد التغيرات المركزية من خلال بناء مصفوفة التأثير المتبادل (Cross impact Matrix) التي ترصد درجة التغير في إطار زمني محدد ثم تحديد معامل الارتباط بين هذه التغيرات لتحديد التغيرات الأكثر تأثيرا، أي التي تتحكم في بقية التغيرات الفرعية أكثر من غيرها.

ذلك يعني أن تحديد التغيرات الأكثر أهمية في سنة معينة في نطاق القضية الفلسطينية يستدعي رصد التغيرات الدولية وتحديد تداعياتها الفرعية، مع الإشارة إلى أن هذه المتغيرات ومتبادلة التأثير على بعضها سلبا وإيجابا.

بناء على ما سبق، وفي حدود المساحة المتاحة، سنحدد أهم التغيرات الدولية عام 2023، ثم رصد تداعيات كل منها على القضية الفلسطينية لنصل إلى أهم الاستنتاجات وآفاقها المستقبلية.

التغيرات المركزية في التفاعلات الدولية خلال عام 2023

من الضروري التنبه إلى أن التغيرات في المجتمع الدولي عام 2023 يعود بعضها إلى ما قبل هذا العام(الحرب الأوكرانية الروسية بدأت 2022 لكن تداعياتها متواصلة، أزمة تايوان اشتد التضارب خلال هذا العام دون أن يكون ذلك منبت الصلة بأعوام سابقة، اتساع التطبيع العربي مع إسرائيل ليس منفصلا عما قبل هذا العام...الخ)، وهناك تغيرات أكثر وضوحا في نسبتها لعام 2023 دون أن يعني أنها غير ذات صلة نسبية بما قبل ذلك.

1- **ارتفاع حدة الصراع الدولي في مناطق جيوإستراتيجية** : مثل أوكرانيا، تايوان وغيرها، وهي صراعات لها تداعيات على القضية الفلسطينية من جوانب سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية. الخ.

أ- الصراع الأوكراني: أبدت الدبلوماسية الإسرائيلية قدرا واضحا من الحذر في التعامل مع الحرب الروسية الأوكرانية، ففي مجال التسليح لأوكرانيا لم تسلك إسرائيل المسلك الذي انتهجته اغلب الدول الغربية [4] رغم أنها ساندت دبلوماسيا قرارات الأمم المتحدة الخاصة بأوكرانيا، ويبدو أن حكومة نتنياهو لا تريد استفزاز روسيا أكثر في ضوء الهجمات المتتالية للطيران الإسرائيلي على سوريا في ظل وجود قوات روسية في سوريا، وقد يقود الدعم العسكري الإسرائيلي لأوكرانيا –إذا مارسته إسرائيل بشكل استفزازي لروسيا - إلى تزويد روسيا للجيش السوري بأحدث المنظومات الصاروخية الروسية المضادة للطائرات التقليدية أو المسيرة أو الصواريخ[5]. لكن بعض التقارير الصحفية تشير إلى أن إسرائيل وعبر شركات خاصة

تقوم بتزويد أوكرانيا ببعض الذخائر والمعلومات والمعدات العسكرية بخاصة ما تعلق منها بنظم الإنذار المبكر.[6]

من جانب ثانٍ، فان المؤسسة الدينية اليهودية في روسيا واجهت خلافات داخلية في الموقف من الحرب، وانعكس ذلك على إسرائيل، فالحاخام بيرل لازأر(Berel Lazar) الذي يمثل احد الاتحادات اليهودية امتنع عن التأييد أو الشجب للحرب الروسية في أوكرانيا مبررا ذلك بأنه " لضمان أمن وحرية الحياة للمجتمع اليهودي الروسي الذين يقدر بحوالي 200 الف نسمة"، بينما حاخام موسكو بنحاس غولدشميدت(Pinchas Goldschmidt) انتقد بشكل حاد وعلني الحرب الروسية على أوكرانيا، وعمل على مساعدة المهاجرين الأوكرانيين، لكنه اضطر بسبب مواقفه إلى إعلان استقالته والمغادرة إلى إسرائيل.، ورغم أن اغلب الروس اليهود والأوكران اليهود اقرب في وجهة نظرهم إلى أوكرانيا في الحرب، إلا أن استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي تؤكد أن الغالبية من اليهود الروس والأوكران والإسرائيليين يساندون بقاء إسرائيل بعيدة عن الانحياز "العلني" لاي من طرفي الصراع.[7]

من جانب ثالث، فان إسرائيل مستفيدة من الحرب الأوكرانية من الناحية السكانية، فمنذ بداية الحرب غادر نحوها من كل من روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا حتى فبراير 2023 ما مجموعه 57 الف و293 يهوديا، لكن حوالي ثلثهم غادروا إسرائيل إلى أماكن أخرى، لكن المقارنة بين عامي الحرب الأوكرانية 2022-2023 والعام السابق للحرب عام 2021 يشير إلى أن عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل تضاعف، وهو مكسب إسرائيلي، رغم أن انتقادات وجهت لإسرائيل حول التباين الواضح في تعاملها مع المهاجرين اليهود مقارنة بتعاملها مع اللاجئين لها من غير اليهود من حيث الرعاية والدعم المالي . ومن المؤكد أن وصول عشرات الآلاف من اليهود الجدد إلى فلسطين سيعزز النزعة الاستيطانية في الأراضي المحتلة، فقد تم إنشاء 18 مركزا لرعاية هؤلاء القادمين الجدد، وسيتم لاحقا نقلهم لمناطق يستقرون فيها والتي ستكون على الأرجح في الضفة الغربية.[8]

من جانب آخر فان القيود المفروضة على تجارة الحبوب مثل القمح والذرة. الخ من أوكرانيا وروسيا رفعت أسعار هذه المواد الغذائية، فالبلدان ينتجان 25 % من إجمالي الناتج العالمي من القمح وتحتلان المرتبة الرابعة والثامنة عالميا في إنتاج القمح كما تحتلان المراتب الأولى والخامسة في صادرات القمح وبمجموع يساوي 32.83% من إجمالي صادرات القمح العالمية [9]، وهو ما أدى لارتفاع أسعار هذه المادة الإستراتيجية، وفي عام 2023 ومع الخلافات حول تجارة القمح واحتمالات تعرض سفن الشحن من البلدين للهجمات العسكرية تواصل الارتفاع [10]، وهو عبء على الاقتصاد الفلسطيني المرهق أصلا، وقد ارتفعت أسعار هذه الحبوب في أسواق الأراضي المحتلة وبخاصة غزة بشكل متواصل، مما زاد من الأعباء الاقتصادية على الخزينة الفلسطينية، ناهيك عن الارتفاع في أسعار الغاز والنفط بسبب الحرب الأوكرانية، وهو ما يعني تحميل الاقتصاد الفلسطيني أعباء إضافية تتراوح بين 17-25% من قيمة أسعار المواد الغذائية الرئيسية، لا سيما أن الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 لا تمتلك أماكن تخزين كافية لهذه المواد، وهو ما زاد من حدة المشكلة.[11]

ب-الأزمة الصينية الأميركية :رغم أن النزاع حول الوضع السياسي والقانوني لتايوان يمثل البعد الأكثر حدة في العلاقات الصينية الأميركية إلا أن التنافس الاقتصادي والتحولات في بينة النظام الدولي، ناهيك عن بناء التحالفات المتضادة في أقاليم جيوإستراتيجية متعددة يزيد العلاقة بين القطبين الدوليين توترا.

ومن الواضح أن الشرق الأوسط يمثل أحد أقاليم التزاحم الجيوإستراتيجي بين القطبين، وهو ما يمكن تحديده في بعدين:[12]

الأول: محاولة الولايات المتحدة التأثير على جاذبية مبادرة الحزام والطريق الصينية والتي يمثل الشرق الأوسط معبرا إجباريا لها والتي حازت على استثمارات المبادرة الصينية بنسبة 57%، ولعل تطور العلاقات الصينية الإسرائيلية من ناحية، والنجاح الصيني في التوفيق الدبلوماسي بين إيران والسعودية من ناحية ثانية، والتفوق الصيني بشكل واضح على الولايات المتحدة في التنافس على السوق الشرق أوسطي وبخاصة

العربي حيث يتفوق حجم التبادل التجاري الصيني العربي على الأميركي العربي بحوالي ثلاثة أضعاف منذ 2021 من ناحية ثالثة، كلها عوامل تؤكد تزايد الوزن النسبي للحضور الصيني على حساب الحضور الأميركي، ناهيك عن الصورة الذهنية السلبية للولايات المتحدة بين قطاع واسع في المجتمع العربي خلافا للصورة الأفضل للصين، وهو ما يعد " بقدر ما" تطورا إيجابيا لصالح الطرف الفلسطيني .

والملاحظ في العلاقات العربية الصينية أنها تسير نحو قدر من المأسسة (Institutionalization) من خلال شبكة متزايدة من المؤسسات، فمنذ 2004 تم إنشاء منتدى التعاون العربي الصيني، وفي 2010 تم إنشاء الحوار الإستراتيجي الصيني مع مجلس التعاون الخليجي، ثم تم إصدار وثيقة صينية حول السياسة العربية للصين عام 2016 والتي توضح النهج الإستراتيجي الصيني تجاه المنطقة العربية.

وانعكاسات ما سبق على الصراع العربي الصهيوني يتجلى في أن نمو العلاقات الصينية مع طرفي النزاع (العرب وإسرائيل) والنجاح في التقارب السعودي الإيراني يمثل تشجيعا للصين للعمل كوسيط بين الطرفين بل وقد تعمل على طرح مبادرات إجرائية في وقت لاحق لتسوية النزاع، ورغم صدور تصريحات ومبادرات صينية عامة في هذا الشأن، إلا أننا نعتقد أن الدور الصيني سيتقدم خطوة أخرى في اتجاه لعب دور إجرائي في تسوية النزاع، بخاصة أن العلاقة الصينية الإسرائيلية تتطور منذ 1992، ولعل أهمية فلسطين جغرافيا للمبادرة الصينية (الحزام والطريق) والتراجع النسبي والمحتمل في الدور الأميركي في المنطقة ييسران الدور الصيني بخاصة في ظل اتساع قاعدة التطبيع العربي الإسرائيلي.

لكن الإعلان في سبتمبر 2023عن اتفاق هندي سعودي لإنشاء ما سمي " الممر الاقتصادي "(India-Middle East-Europe Economic Corridor.) لربط الهند بأوروبا عبر بحر العرب مرورا بالسعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن وإسرائيل يمثل تغيرا قد يكون له تداعيات عديدة، وسيشمل هذا المشروع بنية تحية لنقل الطاقة

بخاصة السكك الحديدية إلى جانب لنقل الكهرباء وخط أنابيب هيدروجين وكابل بيانات عالي السرعة وهو ما يسرع عملية النقل بين هذه الأطراف بمعدل 40%[13] .

وقد رحبت الولايات المتحدة في بيان للبيت الأبيض، كما رحب به وبقوة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ناهيك عن المشاركة الأوروبية في المشروع.[14]

ومن الواضح أن هذا المشروع يمثل منافسا جديا لمبادرة الحزام والطريق الصينية، وهو ما يعني أن العملاقين الصيني والهندي سيتواجهان على الأرض أو الممرات البحرية العربية بخاصة أن العلاقات الهندية الصينية تنطوي على نزاعات إقليمية واقتصادية بينهما ناهيك عن صراعات واشتباكات عسكرية في أعوام 1962 و 1967 و 1987 و 2018 و 2020، [15]، إلى جانب أن كلا من الحكومة الهندية(حزب جاناتا الهندوسي) والمعارضة الهندية متفقان على التصدي للتوسع الصيني في الأسواق العالمية وبخاصة القريبة منها [16]، ناهيك عن السعي الأميركي لجعل الهند قوة كابحة للتوسع الصيني سواء في الشرق الأوسط بكل ما لذلك من انعكاسات على العلاقات العربية العربية والعلاقات الصينية والهندية العربية [17]، ومدى التأثير على مركزية القضية الفلسطينية عبر فتح ميادين تنافس دولي جديد في المنطقة العربية، ويكفي الإشارة إلى التداعيات السلبية على العالم العربي من المشروع الهندي أن بعض المصادر الهندية أشارت إلى أن الممر الاقتصادي الهندي سيقلص مدة نقل البضائع بين أوروبا والهند مدة تتراوح بين 8 إلى 12 يوما قياسا لمدتها عبر قناة السويس[18]، وهو ما قد يضر المصدر الثالث للدخل المصري بعد عوائد العاملين في الخارج والسياحة.

وحيث إن المشروعين (الممر الاقتصادي الهندي- والحزام والطريق الصيني) يجعلان من إسرائيل نقطة عبور رئيسية، فان ذلك يمهد الطريق لمزيد من التغلغل الإسرائيلي في بنية وترتيبات المنطقة العربية وينقل التطبيع العربي الإسرائيلي إلى مجال أرحب، لكن ذلك قد يؤثر على السياسة الإسرائيلية من حيث صعوبة القدرة على التوفيق بين مصالحها من ناحية واتخاذ موقف مع أحد الطرفين-الهندي أو الصيني- من ناحية ثانية، لا سيما وان علاقاتها مع كل من الطرفين متطورة في قطاعات عدة.

لكن هناك من يرى أن القوتين الآسيويتين يمكنهما التناغم في علاقاتهما مع المنطقة العربية، فالعلاقات الهندية الصينية تتطور مع روسيا التي تمثل مساندا دوليا لكل منهما، كما أنهما عضوان في كل من كتلة البريكس ومنظمة شنغهاي مع روسيا، وهو ما يعني أن "رخاوة " البيئة العربية قد تسمح لهما بالتوفيق بين مصالحهما المتعارضة على حساب الطرف العربي على غرار ما فعلته الدول الأوروبية المتنافسة في التاريخ العربي المعاصر.

ت- عدم الاستقرار في منطقة الساحل الأفريقي :يشكل التنافس الدولي في هذه المنطقة إلى جانب الصراعات داخلها بسبب تنوعها الاثني والديني وسوء الأوضاع الاقتصادية فيها عوامل رئيسية للاضطرابات والانقلابات في هذه الدول أو جوارها إقليمي .والخطورة في عدم استقرار هذه المنطقة في أن جوارها الشمالي عربي(الجزائر وليبيا) وغربها (موريتانيا) وشرقها السودان، وهو ما سينعكس على المغرب العربي كله، ويشغله بقضاياه الذاتية على حساب القضايا العربية ومنها القضية الفلسطينية، ناهيك عن التسلل الإسرائيلي في هذه المجتمعات الأفريقية وفي نخبها ونظمها العسكرية، كما أن الاضطراب فيها قد يؤثر على الجزائر التي تنظر إسرائيل لمواقفها ودبلوماسيتها تجاه القضية الفلسطينية نظرة سلبية تماما لأسباب تاريخية ومعاصرة كان آخرها دور الجزائر في حرمان إسرائيل من مركز المراقب في الاتحاد الأفريقي.[19]

تأثير عملية طوفان الأقصى؟

أعادت طوفان الأقصى الاهتمام بالشرق الأوسط من الزاوية الجيوإستراتيجية، وترتب على ذلك :[20]

أ- عودة الاهتمام بالموضوع الفلسطيني على المستويين الرسمي والشعبي الدولي.

ب-تزايد تدريجي في النقد الدولي للسياسة الإسرائيلية بما في ذلك في الولايات المتحدة وأوروبا والأمم المتحدة إلى جانب الموقف الروسي والصيني.

ت-هشاشة وزن القرار العربي والإسلامي في تكييف السياسات الدولية واقتصاره على دور دبلوماسية الإنابة(Proxy Diplomacy)

1. انعكاس الأزمات الاقتصادية على تزايد حدة عدم الاستقرار العالمي

في عام 2022 وقعت اضطرابات كبرى (مظاهرات حاشدة) في 91 دولة واستمر الكثير منها خلال 2023.، ناهيك عن مظاهر عدم استقرار أخرى مثل:[21]

أ- في عام 2023 ارتفع معدل الإنفاق العسكري العالمي، ومنذ نشوب الحرب الأوكرانية الروسية تواصل اتجاه الارتفاع، ليصل مع نهاية 2022 إلى 2 تريليون و240 مليار دولار.

ب-ارتفاع عدد الحروب الأهلية وبقاء معدل الحروب الدولية دون تزايد ملحوظ، فخلال عام 2023 هناك عشرة حروب دولية وأهلية (أبرزها الحرب الأوكرانية)، وكل منها يترك آثارا معينة على منطقة الشرق الأوسط وبالتالي على القضية الفلسطينية .

ت-هناك ستة أقاليم جيوسياسية تراجع فيها الاستقرار السياسي من أصل تسعة أقاليم في العالم.

فاذا نظرنا في إقليم الشرق الأوسط نجد انه يحتل المرتبة الأخيرة في معدل الاستقرار السياسي بين الأقاليم التسعة في العالم بمعدل 2.378 [22]، وعند البحث في ترتيب الدول العربية بين دول العالم يتبين أنه من بين أعلى عشرة دول في العام في معدل عدم الاستقرار هناك 4 دول عربية، كما أن معدل الاستقرار السياسي في إسرائيل ما زال في منطقة السالب في نموذج عدم الاستقرار وتحتل المرتبة 143 عالميا، بينما تحتل إيران المرتبة 148، والسعودية المرتبة 119 ومصر المرتبة 121، وهو ما يعني أن القوى

المركزية في المنطقة هي دول غير مستقرة بقدر كبير، وهو ما يجعل إمكانية الاستقرار في المدى المتوسط أمرا متعذرا.

وينعكس عدم الاستقرار العالمي من ناحية وعدم الاستقرار في إقليم الشرق أوسطي من ناحية ثانية على أولوية القضية الفلسطينية سلبا، إذا أصبحت القضايا المحلية وإقليمية تزاحم القضية الفلسطينية في انشغالات هذه الدول والعمل على ترتيب أوضاعها الذاتية، فلو نظرنا في نشاط اللجنة الدولية الرباعية(الأمم المتحدة و الاتحاد الأوروبي وروسيا والولايات المتحدة) التي أوكل لها متابعة تسوية الصراع العربي الصهيوني يتبين لنا أنها لم تعقد أية اجتماعات لها منذ مارس 2021، أي انه مضى على شللها أكثر من عامين رغم أنها بين 2002 و 2021 عقدت 73 اجتماعا، أي بمعدل 3.8 اجتماعا للعام الواحد.[23]، لكنها اتجهت مؤخرا إلى اقتصار نشاطها على إصدار تقرير سنوي يلخص الأوضاع العامة للموضوع الفلسطيني مع التركيز على القطاع الخدماتي فقط.

ذلك يعني أن استمرار الحرب الأوكرانية وتزايد التنافس الصيني الأميركي والاضطراب في منطقة الساحل الأفريقي واستمرار عدم الاستقرار في كل من الدول المركزية في الشرق الأوسط(إيران والدول العربية وإسرائيل وتركيا [24]) لا يوفر بيئة مناسبة لتسوية سياسية بغض النظر عن مضمون هذه التسوية، وهو ما يستدعي من الطرف الفلسطيني البحث في انسب الإستراتيجيات له في ظل هذه الظروف .

من المؤكد أن إرسال الولايات المتحدة لبعض قواتها إلى البحر المتوسط والأحمر، ثم اضطراب الملاحة البحرية في البحر الأحمر، وارتفاع منسوب الأعمال العسكرية ضد القوات الأميركية، يزيد من مستويات عدم الاستقرار، ناهيك عن توتر العلاقة التركية الإسرائيلية في حدود معين، وارتفاع منسوب التوتر بين إسرائيل والمجتمع الدولي في أميركا اللاتينية وأفريقيا وهو ما يتضح في سحب السفراء.

2- **تزايد النزعة السلطوية على المستوى العالمي** إلى حد بلوغ نسبتها حاليا-2023- ما يعادل نسبتها عام 1989، [25]، أي أن الاستبداد السياسي من خلال التشبث

بالحكم بطرق مختلفة لم يجارِ ما أسمته الدراسات المعاصرة "موجات الديمقراطية".

وعند النظر في الوضع الفلسطيني نجد أن رئيس السلطة الفلسطينية يتناغم مع تزايد النزعة السلطوية الدولية، إذ انه يتولى منصبة منذ أكثر من 18 سنة، كما أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو جلس على كرسي السلطة وما زال لمدة تجاوزت 15 سنة(1996-1999 ثم من 2009 – 2021 ثم من 2022 إلى الآن) ناهيك عن الأزمة التي فجرها ما سمي بالتعديلات القضائية التي ترى فيها المعارضة الإسرائيلية نزعة استبدادية.

ذلك يعني أن احتمالات التغير في النهج السياسي في ظل النزعة السلطوية أمر غير مرجح، وهو ما يعني أن البدائل والسيناريوهات لتسوية الصراع ستبقى جامدة، وسيبقى ميزان القوى هو المحدد المركزي لنتائج أية تسوية، وهو ميزان مختل لغير صالح الطرف الفلسطيني.

فإذا أضفنا لذلك أن التوجه اليميني عالميا له انعكاساته على الشرق الأوسط نظريا وعالميا، ففي أوروبا يلاحظ تنامي النزعة اليمينة[26] وفي أوراسيا[27] والولايات المتحدة وبقية مناطق العالم تقريبا [28] (باستثناءات متناثرة كما هو في بعض دول أميركا اللاتينية كالبرازيل وغواتيمالا. الخ)، وهو ما يعزز هذه النزعة في الشرق الأوسط، ففي إسرائيل يتنامى اليمين بنزعته الدينية من ناحية، كما أن التوجه الديني في بنية المقاومة الفلسطينية من ناحية مقابلة يعززان احتمالات تنامي العنف والبحث عن حلول " قسرية أكثر من البحث عن حلول تفاوضية"(بغض النظر عن التقييم المعياري لهذا التوجه اليميني).

شكلت عملية طوفان الأقصى نوعا من خلخلة سيطرة الإعلام التقليدي المحتكر من الشركات والدول الكبرى، لصالح إعلام تديره القطاعات الشعبية، وهو ما يضعف نزعة التحكم في صناعة الرأي العام، فمصادر الأخبار لم تعد مصادر سلطوية.[29]

3- بروز نزعة التسلح النووي مرة أخرى اثر تداعيات الحرب في أوكرانيا 2022-2023

لم يعرف العالم منذ الحرب العالمية الثانية واستخدام الولايات المتحدة السلاح النووي ضد اليابان تناميا في هاجس وقوع حرب نووية كما هو الحال بعد الحرب الأوكرانية الروسية، وسواء كان ذلك نتيجة القلق من احتمال إصابة مرافق نووية أوكرانية أو روسية بعمل مقصود أو غير مقصود، أو احتمال استخدام مباشر للأسلحة النووية التكتيكية أو الإستراتيجية، وهو أمر تزايد مع الاحتقان في شرق آسيا ومع مواصلة كوريا الشمالية تجاربها في هذا المجال بخاصة الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية، وهو الأمر الذي يستدل عليه معهد استوكهولم (SIPRI) من تزايد عدد الرؤوس النووية أو تحديثها في الدول التسع المالكة للسلاح النووي ومنها إسرائيل، ويشير المعهد المتخصص في شؤون التسلح أن نسبة الصواريخ النووية الجاهزة للاستخدام ارتفعت عام 2023 بنسبة تصل إلى 86% عما كان عليه الحال في 2022، فاذا أضفنا لذلك أن اتفاقيات مراقبة وتخفيض التسلح النووي بين الولايات المتحدة وروسيا أصبحت موضع شكوك أو تجميد واضح، فان التوتر من احتمالات استخدام هذا السلاح يتزايد ولو بحذر شديد في ظل تراجع ثقة الأطراف الدولية ببعضها واحتمالات الحسابات الخطأ في مثل هذه الظروف.[30]

لعل ذلك هو الذي جعل بعض الدول تميل إلى التفكير في برامج نووية حتى لو كانت سلمية كما ظهر في السعودية وفي مصر ناهيك عن البرنامج النووي الإيراني الذي هو محل نقاش منذ زمن بعيد، إلى جانب الامتلاك الإسرائيلي المؤكد للسلاح النووي. أن النزوع للطاقة النووية أو التسلح النووي قد يزيد من حالة الاضطراب في المنطقة، لكن الاحتكار الإسرائيلي للسلاح النووي في الشرق الأوسط قد لا يبقى مقبولا، بخاصة بعد أن تزايد الهاجس حول احتمالات اللجوء له في الاحتقانات الدولية الحالية، وهو ما يجعل المنطقة أكثر "عدم استقرار " من ناحية ولكنه قد يجبر إسرائيل في حالة تمكن دولة شرق أوسطية مثل إيران-أو دولة عربية- من امتلاك السلاح النووي على تقديم تنازلات في ظل توازن قوى نووية إقليمية من ناحية ثانية .

لعل تصريح الوزير الإسرائيلي الداعي إلى ضرب غزة بالسلاح النووي خلال طوفان الأقصى كشف مخاطر امتلاك الدول الصغيرة لهذا السلاح، ولعل التصريح الإسرائيلي سيكون نموذجا لضرب الأمثلة على عدم استبعاد استخدام السلاح النووي أو انتشاره من المناقشات الدولية.

4- **التوتر العالي بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي الأميركيين على خلفية اتهامات الفساد المتبادلة بين دونالد ترامب الجمهوري وجو بايدن الديمقراطي.**

ودون دخول في تفاصيل الاتهامات المتبادلة، فان الطرفين –الجمهوري والديمقراطي- يدركان أهمية اللوبي اليهودي في الانتخابات الأميركية بخاصة أن معدلات الفروق في النتائج الانتخابية لا تكون كبيرة مما يعطي الأقليات وزنا في الترجيح بين المتنافسين، وهو أمر قد تستثمره جماعات الضغط اليهودية، رغم أن توجهات الحزب الديمقراطي وجمهوره أضحت أقل "تناغما مع السياسات الإسرائيلية" [31]، وهو ما يعني أن فوز الديمقراطيين سيكون هو "أهون الشرين" للفلسطينيين من فوز الجمهوريين.

وقد كشفت كافة استطلاعات الرأي الأميركي بعد اندلاع مواجهة طوفان الأقصى عن تزايد حجم التأييد للفلسطينيين بين شباب جمهور الحزب الديمقراطي بما فيهم بين اليهود خلافا للحزب الجمهوري الذي تراجع فيه التأييد ولكن بنسبة أقل.[32]

5- **وقوع 34 انتخابات رئاسية (أو برلمانية في نظم نيابية حتى سبتمبر 2023) :**

ويمكن اعتبار حالتين هما الأكثر أهمية للموضوع الفلسطيني وهما إعادة انتخاب أردوغان في تركيا ودي سيلفا في البرازيل[33]، ولا تشير سياسات أردوغان تجاه الموضوع الفلسطيني إلى أية آمال إيجابية في ظل تنامي حجم التجارة والسياحة واستمرار اللقاءات بين تركيا وإسرائيل رغم بعض الانتقادات اللفظية تجاه السياسات الإسرائيلية .

أما فوز الرئيس البرازيلي اليساري لولا دو سيلفا(Luiz Inácio Lula da Silva) وتسلمه منصبة في بداية 2023، فقد شكل تغيرا عن سياسة سلفه بولسانورا الأقرب لإسرائيل،

ورغم أن العلاقات الإسرائيلية البرازيلية بقيت في بعض ملامحها حتى الآن(مثل أن البرازيل تستورد 8.7% من مبيعات الأسلحة الإسرائيلية وتحتل المرتبة الخامسة عالميا في نسبة شراء الأسلحة الإسرائيلية، وهناك سلسلة اتفاقيات تعاون في مجالات التكنولوجيا معها)، إلا أن دو سيلفا انتقد الأمم المتحدة "التي أنشأت إسرائيل عام 1948 ولم تتمكن من إنشاء دولة فلسطين عام 2023"، كما أن سماحه لسفن إيرانية بالرسو في ميناء برازيلي أعطى إشارة لبعض التحول في السياسة البرازيلية.[34]

فإذا علمنا أن البرازيل تحتل المرتبة السابعة في عدد السكان عالميا(حوالي 216 مليون نسمة) وتحتل المرتبة الثامنة عالميا في إجمالي الناتج المحلي (المعادل الشرائي PPP) بحوالي 4.02 تريليون دولار عام 2022 [35]، ندرك الأهمية " النسبية" لهذا التغير السياسي البرازيلي بخاصة أنها القوة المركزية في أميركا اللاتينية.

لعل المواقف من طوفان الأقصى قد يغير نسبيا من توجهات الناخبين في بعض الدول مثل أميركا أو فرنسا أو تركيا...الخ.[36]

6- **استقرار معدل التصويت في الأمم المتحدة لصالح فلسطين:** فخلال الفترة 2023/2022 كان معدل التصويت لصالح فلسطين 138 دولة، و 12 دولة عارضت هذه القرارات، وهي تمثل 16% من سكان العالم، وان معدل التغيب أو الامتناع عن التصويت في المشروعات ذات الصلة بفلسطين هو حوالي 43 دولة وأن إسرائيل هي الدولة الحاصلة على اكبر عدد من الإدانات في هيئات الأمم المتحدة المختلفة، ففي الوقت التي تم توجيه 15 إدانة أممية لإسرائيل تلقت بقية دول العالم 13 فقط، وهو أمر يعزز الصورة السلبية للسياسات الإسرائيلية بخاصة في جانبها الأخلاقي والقانوني. ، ويشكل هذا التوجه للأمم المتحدة اتجاها مستقرا في الأمم المتحدة، فخلال الفترة من 2015 إلى بداية 2023 تم توجيه 140 قرار إدانة لإسرائيل مقابل 68 إدانة لبقية أعضاء الأمم المتحدة، ناهيك عن قرارات أخرى من وكالات الأمم المتحدة الخاصة مثل محكمة العدل الدولية ولجنة حقوق الإنسان الأممية...الخ.[37].

لقد كشف التصويت في الأمم المتحدة على وقف إطلاق النار خلال معركة طوفان الأقصى عن ثبات التأييد الدولي للموقف الفلسطيني ولو أن التغيير في المواقف الرسمية ما زال متواضعا(تغير الموق الإسباني والبلجيكي بل والفرنسي وغيرها).[38]

أما في البيئة الإقليمية العربية ذاتها، فيمكن رصد التغيرات التالية:[39]

أ- استمرار الخرق الإسرائيلي للمقاطعة العربية عبر تطبيع علني وسري[40]، وشكل اللقاء بين وزيرة الخارجية الليبية نجلاء المنقوش ووزير الخارجية الإسرائيلي ايلي كوهين في أواخر أغسطس 2023 اضافة جديدة للخرق الإسرائيلي المتواصل، ورغم التنصل الحكومي الليبي من هذا اللقاء، إلا أن الأمر يشير إلى اتساع دائرة الانفتاح العربي "الرسمي" على إسرائيل، إذ أن تسعة دول عربية تقيم علاقات دبلوماسية أو تجارية أو انفتاح للأجواء للطيران الإسرائيلي ولقاءات وفود تجارية ورياضية...الخ، ناهيك عن محاولات تواصل بين أقليات أو تيارات سياسية عربية وبين إسرائيل مثل بعض الشرائح في كردستان العراق وفي لبنان وفي موريتانيا وفي تونس .

لكن اللافت للنظر هو الهوة بين السعي العربي الرسمي للتطبيع مع إسرائيل وبين الرفض الشعبي له، ويكفي العودة لاستطلاعات الرأي العربية والغربية لاكتشاف التباين الصارخ في هذا الجانب بين الموقف الرسمي والشعبي[41]، بل أن الطرف الإسرائيلي يرى في بعض أدبياته الأكاديمية أن سوء الأوضاع الاقتصادية في اغلب الدول العربية قد يقود لاضطرابات واسعة، مما يعزز من رفض التطبيع مع إسرائيل إذا أن التطبيع لم يؤد إلى نتائج إيجابية على المجتمع العربي في اغلب الجوانب الحياتية الرئيسية. [42]

ب-بداية الأزمة الاقتصادية في المصارف اللبنانية وانعكاساتها على الأوضاع المعيشية للاجئين الفلسطينيين.[43]: تتضارب الأرقام الخاصة بعدد الفلسطينيين في لبنان بين الأرقام اللبنانية الرسمية وبين تقديرات وكالة الغوث لتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وبين أرقام مؤسسات بحثية أو مدنية، ويتراوح الرقم بين 174 الف و 400 الف فلسطيني، ويعيشون في 12 مخيما.[44]، وقد أدت الأزمة المالية –أزمة

المصارف اللبنانية تحديدا- منذ بداياتها عام 2019 إلى التأثير على عمل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، وهو الأمر الذي يتكاتف مع القيود المفروضة على الفلسطينيين في قطاعات العمل في لبنان، وهو ما يزيد الأمور تعقيدا، ويثقل كاهل المؤسسات الفلسطينية التي تعمل على تقديم بعض الرواتب عبر التنظيمات الفلسطينية لمناصريها، ومن الممكن الربط بين الاختناق الاقتصادي وبين عودة الاشتباكات المسلحة بين تنظيمات فلسطينية في بعض مخيمات لبنان خلال شهري أغسطس وسبتمبر 2023.(دون إنكار عوامل أخرى ليس هنا مجال تناولها)، ويكفي الإشارة إلى أن بعض التقديرات تصل بمعدل البطالة في المخيمات الفلسطينية في لبنان إلى 80%.[45]

ت-انضمام دول عربية وإقليمية إلى منظمة البريكس واحتمالات الانضمام بمستوى أو آخر لمنظمة شنغهاي، وأهمية ذلك في ظل تقارب منظمة شنغهاي مع مجموعة الاتحاد الأوراسي. [46]، فقد تم في مؤتمر البريكس في أغسطس 2023 قبول عضوية كل من السعودية والإمارات العربية ومصر وإيران، بينما تم تأجيل النظر في عضوية الجزائر إلى دورة البريكس القادمة.[47] وتسعى هذه الهيئة الدولية إلى جانب هيئات دولية أخرى إلى تحويل النظام الدولي إلى نظام متعدد الأقطاب، وهو أمر قد يضعف من تأثيرات القطبية الأحادية أو السيطرة الغربية على النظام الدولي، وهو ما يصب في مصلحة الفلسطينيين لا في مصلحة الإسرائيليين، إذ يرى الإسرائيليون أن دول المركز في كتلة البريكس أكثر تفهما للمطالب الفلسطينية وهو ما يتضح في مواقف الصين وروسيا والبرازيل وجنوب أفريقيا و" الهند إلى حد ما"، لذا فان الدبلوماسية الإسرائيلية تميل إلى التعامل مع أعضاء الكتلة فرادى لا ضمن الكتلة والذي قد يثير شكوكا في الدوائر الغربية حول التصرف الإسرائيلي.[48]، لكن بعض الأفكار السياسية في إسرائيل تنادي بضرورة الاستدارة شرقا بخاصة في ظل تراجع مكانة الشرق الأوسط في الأولويات الإستراتيجية الأميركية وتنامي النظرة السلبية لإسرائيل في المجتمعات الأوروبية، وهو الأمر الذي طرحه الوزير الإسرائيلي السابق موشيه ارينز عام 2014.[49]، من جانب آخر تدرك إسرائيل أن احتمالات التغير في الحكومة الهندية

في انتخابات عام 2024 القادمة قد تعيد حزب المؤتمر الهندي للسلطة بمواقفه المعهودة إلى جانب الفلسطينيين كما جرى في التغير الحكومي في البرازيل، ولعل إعلان 26 حزبا هنديا عن التحالف لمواجهة حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي في انتخابات 2024 يشير إلى أن نارندرا مودي (Narendra Modi) سيواجه انتخابات أكثر حدة مما واجهه منذ صعوده للسلطة عام 2014 وبخاصة بعد فشله في الانتخابات المحلية في بعض الولايات الهندية.[50] مع أن ذلك ليس إلا احتمالا متوسط القوة.

فإذا تكاتف الموقف الهندي والبرازيلي والجنوب أفريقي مع إيران فان قدرة إسرائيل على التأثير على موقف الكتلة سيصبح أقل كثيرا.

رصد الاتجاهات الكبرى للقوى الدولية وتأثيرها على القضية الفلسطينية

يشير الواقع الدولي القائم إلى حراك دولي تشكله إستراتيجيات القوى المركزية في النظام الدولي، ويشمل هذا الحراك القواعد القانونية الناظمة للتفاعلات الدولية (International Regime) ثم التفاعلات الدولية ذاتها وتداعياتها (International System) ومن بينها التراتبية في موقع الدولة على سلم القوى الدولي(International Order)، ويبدو من أغلب التحليلات الأكاديمية أن الواقع الدولي يشهد حراكا على النحو التالي:[51]

1- هناك قوة عظمى ما تزال تتصدر المشهد الدولي لكنها تعرف تراجعا في مركزيتها، وتسعى إلى وقف هذا التراجع أو إبطائه قدر الإمكان، وهذه الدولة هي الولايات المتحدة، وقد رصدنا التيارات الفكرية في الولايات المتحدة التي ترصد هذه الظاهرة وتميل في اغلبها للإقرار بالتراجع الأميركي .[52]

2- وهناك قوة عظمى تفككت إلى جمهوريات قومية وفقدت تحالفاتها العسكرية والاقتصادية، ولكن القلق الرئيس لها أصبح من تسلل التفكك إلى داخلها من

ناحية وفقدانها التدريجي للمجال الحيوي لها من ناحية أخرى، وتعمل هذه الدولة على ضمان التماسك الداخلي وبناء مجال حيوي راسخ لها، وهذه الدولة هي روسيا.[53]

3- أما القوى العظمى الثالثة فهي دولة تسعى لبناء " صعود سلمي" استنادا إلى براغماتية رزينة وتحلل هادئ من التزمت الأيديولوجي، مستندة في ذلك إلى تضاعف مضطرد في إجمالي ناتجها المحلي وتصدر معدلات النمو الاقتصادي عالميا، مع استمرار الإصرار على تحقيق تكاملها إقليمي إلى جانب النزعة لتولي قيادة العولمة، وهي الصين.[54]

4- وهناك كتلة دولية حائرة بين إرث قومي يتغذى عليه يمين سياسي يتزايد بشكل واضح في السنوات الأخيرة، وبين نزوع تكاملي قاري، وانعكس ذلك على تباينات سياسية وأولويات كل عضو في هذا التكتل بخاصة في السياسة الخارجية، وهذا هو حال الاتحاد الأوروبي.[55]

5- ثمة دولة هامة في المسرح الدولي لكنها تولي النزعة الميركنتيلية أولوية في علاقاتها الخارجية، مع تزايد واضح في نزعة قومية تنمو بهدوء بخاصة منذ العقد الحالي، وهي اليابان.[56]

6- هناك دولة آسيوية تطل من نافذة البناء الدولي لتؤكد حضورها الدولي، فهي تتفوق على الصين في معدل نموها الاقتصادي لهذا العام 6.1% مقابل 4.5%، وتتجاوز الصين في عدد سكانها، وتضع خطة معلنة بأن تكون في عام 2047 ضمن الدول الصناعية المتطورة، وأنها ستحتل المرتبة الثالثة في الاقتصاد العالمي عام 2030، وهي الهند.[57]

ما هي انعكاسات الاتجاهات الكبرى لهذه الدول على القضية الفلسطينية؟

لدراسة تأثيرات هذه القوى لا بد من تحديد عناصر التفاعل بينها وبين الموضوع الفلسطيني من حيث الأبعاد التالية:

1- جوانب التوافق بين هذه القوى في الموضوع الفلسطيني

2- جوانب الخلاف بينها في الموضوع الفلسطيني

ويمكن تحديد الأبعاد الإستراتيجية المتفق عليها بين هذه الدول في الجوانب التالية:

أ- حل الدولتين: فكل هذه الدول تقر بأن حل الدولتين هو الحل الأفضل، ولم تعترض أي من هذا الدول على هذا الحل، ويبدو أن طوفان الأقصى عزز من هذا التوجه.

ب-حق إسرائيل في ضمان أمنها، وهو ما أعلنته هذه الدول في مواضع مختلفة، ناهيك عن أنها جميعا لها علاقات دبلوماسية ومتطورة مع إسرائيل .

ت-عدم الاعتراض على التطبيع بين العرب وإسرائيل، فإذا كانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والهند واليابان يشجعون على ذلك، فان كلا من الصين وروسيا لم تبديا أي اعتراض على ذلك.

ث-عدم تطبيق إجراءات عقابية فعلية على إسرائيل: إذا استثنينا التصويت أحيانا ضد إسرائيل في الأمم المتحدة، أو بعض الانتقادات اللفظية للسياسات الإسرائيلية فإننا لا نجد أية إجراءات عقوبات سياسية أو حصار اقتصادية أو إحالة للمحكمة الجنائية الدولية ...الخ على غرار ما تفعله هذه الدول في قضايا دولية أخرى.

ج- الغموض في الموقف من عودة اللاجئين الفلسطينيين أو حقوقهم، إذ تميل هذه الدول إلى ترك موضوع اللاجئين للاتفاق بين الطرفين العربي والإسرائيلي .

ح- الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط لكل هذه الدول اقتصاديا وعسكريا وطاقويا وجغرافيا، فللمنطقة العربية أهمية جيواستراتيجية ونفطية وغازية وكأسواق للسلع المدنية أو العسكرية لكل هذه الدول الكبرى.

أما نقاط الخلاف بينها فتتمثل في الآتي:

أ- مدى الدور الذي للأمم المتحدة في التسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إذ نجد أن الولايات المتحدة هي الأقل رغبة في إيكال أدوار أكبر للأمم المتحدة في تسوية الصراع وهو الموقف الذي تتبناه إسرائيل، كما أن دول الاتحاد الأوروبي تميل غالبا للتغيب أو الامتناع عن التصويت في الأمم المتحدة.

ب- قدر من التباين في حدود الدولتين المقترحتين وبخاصة ما يتعلق بالقدس الشرقية: فاذا استثنينا الولايات المتحدة، فان بقية الدول تميل إلى التعامل مع هذه المسألة وموضوعات المسجد الأقصى بكيفية حذرة واعتبار أن هذا الأمر يخص طرفي الصراع.

ت- درجة القبول بحق المقاومة الفلسطينية المسلحة في مقاومة الاحتلال، تبدو كلا من الصين وروسيا أقرب للإقرار بحق المقاومة في مواجهة الاحتلال ضمن شروط معينة، لكن ذلك لا يصل إلى حد المساندة الميدانية بالمال والسلاح والإعلام .

ث- كثافة التعامل الدبلوماسي مع الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي: تقيم كل هذه الدول علاقات رسمية مع السلطة الفلسطينية لكن تعاملها مع تنظيمات المقاومة أمر فيه تباين واضح بخاصة في الموقف العدائي من الولايات المتحدة واغلب الدول الأوروبية واليابان وإلى حد ما الهند.

ج- تباين في حجم المساعدات للفلسطينيين وشروط هذه المساعدات: يلاحظ في هذا الجانب أن الدول الأقل تأييدا سياسيا للفلسطينيين هم الأكثر تقديما للمساعدات المالية، بينما الأكثر تأييدا سياسيا هم الأقل مساعدة اقتصادية، فخلال الفترة من أوسلو 1993 إلى 2020 كان حوالي 51% من المساعدات من أوروبا والولايات المتحدة يضاف لها 3.2% من البنك الدولي و2.9% من اليابان، يضاف لها 23 %

من الدول العربية، فان مجموع ما يقدمه بقية دول العالم بما فيها روسيا والصين هو أقل من 20%. [58]، وما يعزز ذلك هو أن الولايات المتحدة وألمانيا والاتحاد الأوروبي يحتلون المراتب الثلاث الأولى تباعا في قائمة المساعدات لوكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين، وتحتل الهند المرتبة 25 ، بينما تحتل الصين وروسيا المرتبتين 34 و35 على التوالي.[59]

لكن المساعدات المالية للفلسطينيين ترتبط بموضع آخر وهو الشروط السياسية التي ترتبط بها المساعدات، فالولايات المتحدة وأغلب الدول الأوروبية تربط بين مساعداتها وبين مواقف وسياسات معينة تشترطها على الطرف الفلسطيني مثل عدم وصول المساعدات لأجنحة المقاومة العسكرية، أو التراجع عن الدعوة لعقد جلسات للمحكمة الجنائية الدولية للنظر في الانتهاكات الإسرائيلية للقانون الدولي أو التدخل في مناهج التعليم الفلسطينية ودفع الجهات التربوية الفلسطينية إلى التغيير في المضامين الخاصة بالعلاقة مع إسرائيل أو بجوانب محددة في المناهج أو الإعلام الفلسطيني، بل وتذهب الشروط –كما جرى في فترة حكم دونالد ترامب- إلى التركيز على توجيه المساعدات لتطوير التنسيق الأمني بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية.[60]، بالمقابل فان القوى الكبرى الأقرب لوجهة النظر الفلسطينية تتضاءل مساعداتها الاقتصادية، إلى الحد الذي تبدو فيه وكأن الموقف السياسي لهذه الدول يمثل " تعويضا " عن قلة المساعدات المالية"، وهكذا يجد الطرف الفلسطيني نفسه بين خيارين قاصرين هما إما تأييد سياسي يفتقر للمساندة المالية أو مساندة مالية تعوزها المواقف السياسية العادلة.

ح- تباين في " أولويات الأهمية " الإستراتيجية للشرق الأوسط: من المؤكد أن القيمة الإستراتيجية للشرق الأوسط تتحكم فيها المتغيرات الجيوإستراتيجية والحاجة للنفط والأسواق، وهي أولويات تختلف لكل من الهند واليابان عنها لروسيا والصين أو للولايات المتحدة، ومن المؤكد أن التغيرات الدولية تؤثر على أهمية إقليم، فتناقص الحاجة الأميركية مثلا للبترول العربي وتزايد الاهتمام بمنطقة شرق آسيا

تؤثر على مكانة إقليم للولايات المتحدة ..إلخ، وتحقيق السلام في الشرق الأوسط يتيح المجال لليابان لمزيد من التصدير للمنطقة العربية التي يمتص جزء ا غير يسير من إنفاقها الجانب العسكري الذي لا يعني التجارة اليابانية، بينما السلام في المنطقة يعني الصين والهند كثيرا لضمان نجاح مشروع مبادرة الحزام والطريق للأولى والممر الاقتصادي للثانية، في حين تنظر أوروبا للمنطقة من زاوية التجارة والجوار الجغرافي ومشكلات اللاجئين والإرث التاريخي ...الخ.

خ- وجود سفارة لها في القدس، لم تعترف أي من الدول الكبرى بالقدس كعاصمة موحدة لإسرائيل إلا الولايات المتحدة، بينما ترفض بقية الدول نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس.

ولعل المقارنة بين جوانب التوافق والخلاف يشير إلى أن جوانب التوافق هي ذات طبيعة إستراتيجية، بينما جوانب الاختلاف يغلب عليها الطابع الإجرائي والتكتيكي، وهو ما يعني أن المسار العام ليس في صالح الطرف الفلسطيني في المدى المنظور، فإذا أضفنا لذلك الأوضاع العربية من عدم الاستقرار وتزايد الاستبداد السياسي والفقر وسوء توزيع الدخل وتركز الثروة في دول صغيرة وتهلهل النظم الفرعية العربية(مجلس التعاون الخليجي أو الاتحاد المغاربي ..الخ) وتراجع دور الجامعة العربية، فان الصورة تزداد قتامة.

الخلاصة

يتسم المشهد الدولي المعاصر وانعكاساته على القضية الفلسطينية بما يلي:

أ- تمثل الفترة الحالية فترة عدم استقرار شديد في تفاعلات النظام الدولي، وهو ما يدفع اغلب الدول للاعتناء بمشكلاتها المباشرة على حساب المشاكل الأخرى إلا بمقدار التأثر المباشر والحاد بتلك المشكلات، وقد انعكس هذا الانشغال على تراجع نسبي في مكانة القضية الفلسطينية في المداولات والتفاعلات الدبلوماسية الدولية، ولعل

شلل اللجنة الرباعية لعامين متتالين هو دليل على صحة هذا الاستنتاج. ولعل الحروب الأوكرانية والتأزم حول موضوع تايوان والاضطراب الواسع في دول الساحل الأفريقي، ناهيك عن اتساع دائرة تطبيق العقوبات الاقتصادية بين الدول والارتباك في الأسواق المالية ونظم التحويلات والتبادل التجاري ومعدلات النمو ما يعزز هذا الاستنتاج. ويبدو أن انشغال العالم نسبيا بعيدا عن الموضوع الفلسطيني يمثل مكسبا إسرائيليا.

ب-إن درجة التوافق بين القوى الكبرى في إستراتيجيات التسوية السياسية للصراع العربي الصهيوني تفوق درجة التباين، لكن نقل هذا التقارب في الأهداف يفتقر إلى آليات إجرائية للضغط على أطراف الصراع للاستجابة لهذه القوى، بخاصة أن القوى الكبرى بينها خلافات عميقة كما أشرنا في موضوعات أخرى تؤثر بشكل أو آخر على استعدادها لتنفيذ ما هو متفق عليه بينها في القضية الفلسطينية، ناهيك عن ظروف داخلية في كل دولة تعيق الضغط باتجاه ما هو متفق عليه، ويكفي ملاحظة أن كل دول العالم تقريبا تؤيد حل الدولتين فلماذا لا يتم تنفيذه؟

ت-يجد العالم –بخاصة القوى المساندة للطرف الفلسطيني- مشكلة في الحوار والتنسيق مع الفلسطينيين في ظل الانقسام الداخلي العميق والمستعصي، وهو ما يضع القوى المساندة للطرف الفلسطيني في حالة إرباك لرسم سياسات واضحة تجاه الموضوع الفلسطيني، فالسلطة الفلسطينية لها خيار إستراتيجي مناقض شكلا ومضمونا لخيار حركات المقاومة المسلحة والتي تميل استطلاعات الرأي العام الفلسطيني إلى أنها الأكثر مقبولية ومصداقية لدى الشارع الفلسطيني، وهو ما يجعل الموقف لأية دولة من الدول الكبرى موضع ارتباك.

ث-تشير استطلاعات الرأي العام الدولي منذ عام 2000 إلى الآن أن مستوى التأييد الشعبي في العالم لإسرائيل يتراجع ولو ببطء حتى في الولايات المتحدة بل وبين يهودها وشبابها، ولعل تنامي نفوذ القوى الحزبية الدينية واليمينية في إسرائيل عزز من هذا التوجه [61]، لكن الانفتاح العربي بحلقات التطبيع المتتالية مع إسرائيل قد

يؤثر سلبا على هذا التوجه في الرأي العام بخاصة في تأثيراته على المدى البعيد على القرار السياسي في الدول الديمقراطية التي يشكل الشارع فيها متغيرا هاما في سياسات الدولة لان هذا الشارع هو من يختار الحاكم

وقد كشفت مؤشرات الرأي العام الدولي عن أن طوفان الأقصى عززت هذا التغير الإيجابي نحو الموضوع الفلسطيني وهو ما يتضح في المؤشرات التالية:[62]

1- قدر رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق نفتالي بينيت(Naftali Bennett) أن نسبة تأييد الصينيين في وسائل التواصل الاجتماعي الصينية للفلسطينيين تعادل 15 ضعفا مقارنة بنسبة التأييد للإسرائيليين.[63]

2- التغير في توجهات الرأي العام في الولايات المتحدة خلال شهر تقريبا من وقوع طوفان الأقصى، ويتضح ذلك في المؤشرات التالية(بين 13/12 أكتوبر و14نوفمبر 2023):64

أ- تراجعت نسبة المطالبين بدعم إسرائيل من 41% (عند بداية معركة طوفان الأقصى)إلى 32 % (بعد 41 يوم من المواجهة)، كما أن 68 % من الأميركيين يؤيدون وقف إطلاق النار خلافا للموقف الرسمي الأميركي والإسرائيلي، كما أن الذين طالبوا باتخاذ أميركا موقفا محايدا ارتفع من 27% إلى 39% في نفس فترة القياس التي أشرنا لها.

ب-عند المقارنة بين تأييد إرسال السلاح لإسرائيل ولأوكرانيا كانت النتائج على النحو التالي:

أوكرانيا نعم(41) لا(32)

إسرائيل 31 43

وهو ما يدل على أن نسبة التأييد لأوكرانيا اعلى بشكل واضح قياسا لإسرائيل.

ت-التأييد لإسرائيل بين الجمهوريين كان اعلى من نسبة التأييد بين الديمقراطيين بشكل واضح بخاصة بين الشباب.

3- يهود العالم ومشاركتهم في المظاهرات المناهضة للسياسة الإسرائيلية:

لعل دلالات المقال الذي ظهر في صحيفة يديعوت أحرونوت للكاتب الإسرائيلي أتيلا سومفالفي(Attila Somfalvi) يشير إلى الفتق الذي اتسع على الراتق الإسرائيلي، فالكاتب يقول " أن الأكثر إثارة للدهشة هم اليهود الذين يشاركون في حملة تشهير ضد أمتهم التي تتعرض لهجوم بلا رحمة من قبل الوحوش البشرية، وإن الجهل التاريخي الصارخ المعروض يفطر القلب، ويجبرنا نحن اليهود على التفكير في كيفية وسبب هذا الواقع البائس".[65]

4- قدم معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي تقريرا يرصد فيه حجم التأييد في المظاهرات في مختلف دول العالم خلال الحرب، ويظهر التقرير أن عدد المظاهرات المؤيدة لإسرائيل والفلسطينيين في العالم خلال الفترة من 7 أكتوبر إلى 27 أكتوبر، كانت موزعة على النحو التالي :[66]

أ- في الولايات المتحدة : شكلت نسبة المظاهرات المؤيدة لإسرائيل حوالي 45.3% من مجموع المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين(182 لإسرائيل و402 لفلسطين)

ب-كانت نسبة المظاهرات المؤيدة لإسرائيل في كل العالم تساوي 10.3% من مجموع المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين. (359 مظاهرة لإسرائيل، مقابل 3482 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين)

ت-وتشير دراسة أخرى إلى أن عدد المظاهرات خلال نفس الفترة كان 3761 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين مقابل 529 مؤيدة لإسرائيل، أي أن التأييد هو حوالي 86% من مجموع مظاهرات العالم لصالح الفلسطينيين .[67]

5- تحليل مضمون للصحف والمواقع الإلكترونية (غير العربية وغير الإسلامية)[68]: تم جمع 1080 عنوانا لصحف ومواقع الكترونية غربية أو آسيوية أو أفريقية أو أميركية لاتينية، وتم تصنيف هذه العناوين على أساس مضمون العنوان من حيث دلالات

العنوان هل هو مؤيد لإسرائيل أو للفلسطينيين، وتم اختيار العينة عشوائيا، وبعد الفرز تبين أن :

أ- 726 عنوانا مؤيدا للفلسطينيين أي ما نسبته 67.2%

ب- 317 عنوانا مؤيدا لإسرائيل، أي ما نسبته 29.3 %

ت- 37 عنوانا إما يؤيد الطرفين أو يعارضهما، أي ما نسبته 3,5%

ذلك يعني أن طوفان الأقصى كان لها تأثيرها العميق جدا في الرأي العام الدولي، وهو أمر لا تظهر آثاره مباشرة، لكن ستكون نقطة تحول على المدى البعيد بشكل سيؤثر على الصورة الذهنية لإسرائيل في المجتمع الدولي.

الهوامش

[1] - يكفي الإشارة إلى انه منذ انهيار الاتحاد السوفييتي زاد عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة 26 دولة، أي بما يساوي أكثر من 13% من أعضاء المنظمة. انظر التفاصيل:https://www.un.org/en/about-us/growth-in-un-membership

[2] https://www.giga-hamburg.de/en/publications/giga-focus/the-rising-authority-of-international--organisations

[3] - https://link.springer.com/article/10.1007/s11575-016-0304-9
أيضًا:https://www.degruyter.com/document/doi/10.1515/sirius-2017-0025/html

[4] https://www.lemonde.fr/en/international/article/2023/05/15/why-israel-still-refuses-to-give--military-aid-to-ukraine_6026664_4.html

[5] https://www.timesofisrael.com/wake-up-ukraine-urges-israel-to-aid-odesas-jews-as-russia--/pounds-city

[6] https://www.lemonde.fr/en/international/article/2023/01/24/war-in-ukraine-israel-cautiously--opens-its-arsenal-to-kyiv_6012781_4.html

[7] - https://besacenter.org/the-russian-speaking-jewish-diaspora-and-the-war-in-ukraine/

[8] - https://cne.news/article/2621-thousands-of-eastern-european-jews-move-to-israel
أيضًا:- https://religionnews.com/2023/07/07/report-finds-a-growing-exodus-of-jews-from-russia-and-ukraine/

[9] - https://beef2live.com/story-top-20-largest-wheat-exporters-world-0-206491

[10] - https://www.developmentaid.org/news-stream/post/164663/wheat-producing-countries

[11] https://reliefweb.int/report/occupied-palestinian-territory/fears-wheat-stocks-could-run-out--occupied-palestinian

[12] - انظر التفاصيل حول التنافس الأميركي الصيني في الشرق الاوسط:
https://blogs.lse.ac.uk/cff/2022/12/05/ask-the-experts-is-chinas-growing-influence-in-the-middle--east-pushing-out-the-united-states/
أيضًا:https://www.ispionline.it/en/publication/shifting-balances-in-the-mena-region-russia-and-china-no-longer-behind-the-scenes-132066
أيضًا:https://www.statista.com/statistics/1384138/mena-ranking-of-china-as-trading-partner-by-flow/
أيضًا:https://gjia.georgetown.edu/2023/06/02/chinas-increasing-role-in-the-middle-east-implications-for-regional-and-international-dynamics/

[13] - https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2023/09/Project-Gateway-Multilateral--MOU.pdf

أيضًا: للتعرف على التفاصيل من المصادر الهندية انظر:
https://www.thehindubusinessline.com/opinion/a-corridor-of-immense--promise/article67296263.ece
[14] https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2023/09/09/fact-sheet-world--/leaders-launch-a-landmark-india-middle-east-europe-economic-corridor
أيضًا: https://www.timesofisrael.com/greatest-cooperation-project-in-our-history-pm-lauds-new-us-led-transport-corridor/
[15] The US Factor and the Evolution of China India Relations-China Reiew--vol.23.No.1.Feb.2023.pp.107-133 Li Li-
[16] https://business.outlookindia.com/economy-and-policy/g20-summit-will-india-successfully--counter-chinas-bri-project-with-middle-east-europe-economic-corridor
[17] https://www.economist.com/leaders/2023/07/20/what-the-china-india-detente-means-for-the--west
[18] https://infra.economictimes.indiatimes.com/news/railways/etinfrag20-new-econ-corridor-to--make-india-europe-trade-40-faster/103556489
انظر أيضًا: https://www.france24.com/en/live-news/20230909-eu-mid-east-india-to-launch-historic-trade-plan
[19] https://www.alzaytouna.net/2022/08/01/ -
[20] https://www.wilsoncenter.org/article/hamas-israel-war-views-wilson-center-experts-
أيضًا: https://ip-quarterly.com/en/israel-hamas-war-and-new-world-order:
[21] https://www.bbc.com/mundo/noticias-internacional-63294953-
انظر أيضًا: https://www.visionofhumanity.org/regional-peace-trends-2023-insights-analysis/
- أيضًا: https://www.sipri.org/publications/2023/sipri-fact-sheets/trends-world-military-expenditure-2022
أيضًا: https://www.crisisgroup.org/visual-explainers/10-conflicts-2023/
أيضًا: https://world101.cfr.org/understanding-international-system/conflict/understanding-intrastate-conflict
[22] - شكل قياس الاستقرار السياسي مشكلة للباحثين في العلوم السياسية، لكن الاتجاه السائد منذ نموذج دانيال كوفمان(Kaufmann) عام 1999 تطور في هذا الجانب ليصل إلى نموذج ينقسم إلى قسمين إيجابي من صفر إلى + 2.5 (اعلى درجات الاستقرار) وسلبي من صفر إلى – 2.5(أدنى درجات الاستقرار)، ويتم تقييم الاستقرار في كل دولة بناء على مؤشرات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وتكنولوجية.....
انظر:
https://www.theglobaleconomy.com/rankings/wb_political_stability/ -
Jack A. Goldstone(Et.al) A Global Model for Forecasting Political Instability- American Journal of Political Science- Vol. 54, No. 1 (Jan., 2010),-pp.190-208 -
[23] http://www.quartetoffice.org/page.php?id=5eba80y6208128Y5eba80-
[24] https://fragilestatesindex.org/2023/06/14/fragile-states-index-2023-annual-report/ -
[25] انظر التفاصيل في: -
https://www.cidob.org/en/publications/publication_series/notes_internacionals/283/the_world_in_2023_ten_issues_that_will_shape_the_international_agenda -
[26] https://www.euronews.com/my-europe/2023/06/19/why-the-far-right-is-increasingly-getting--into-power-across-europe
أيضًا: https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/may/31/across-europe-the-far-right-is-rising-that-it-seems-normal-is-all-the-more-terrifying
[27] https://freedomhouse.org/report/special-report/2020/new-eurasian-far-right-rising-
[28] https://therealnews.com/the-rise-of-the-far-right-is-a-global-phenomenon-
[29] https://apnews.com/article/ai-gaza-war-video-media-news--c5e23399d190b3b1161eee90ee055ceb
[30] https://www.sipri.org/media/press-release/2023/states-invest-nuclear-arsenals-geopolitical--relations-deteriorate-new-sipri-yearbook-out-now
[31] https://www.pewresearch.org/short-reads/2023/08/21/how-americans-view-israel-netanyahu--and-u-s-israel-relations-in-5-charts
[32] https://www.reuters.com/world/us-public-support-israel-drops-majority-backs-ceasefire--reutersipsos-2023-11-15
[33] https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_state_leaders_in_2023#North_America-
[34] https://www.middleeasteye.net/news/brazil-lula-change-israel-palestine-policy-

أيضًا:-https://www.israelhayom.com/2023/04/27/brazils-lula-facing-backlash-after-claiming-israel-was/ created-by-the-un

[35] https://2u.pw/udZb244

[36] -https://bnn.network/politics/ahmet-davutoglu-stands-firm-on-palestine-critiques-erdogans-stance-and-pledges-continued-support/

[37] -https://unwatch.org/2021-2022-unga-resolutions-on-israel-vs-rest-of-the-world/ https://www.timesofisrael.com/un-condemned-israel-more-than-all-other-countries-combined-in-2022-monitor/ أيضًا:-Deparment of state-USA-Report to Congress: voting practices in the UN in 2018,,-31 march-2019.pp.65-74.

[38] -https://press.un.org/en/2023/ga12548.doc.htm

[39] https://www.theguardian.com/world/2023/aug/30/libyan-foreign-minister-flees-country-amid-outcry-over-meeting-with-israeli-counterpart

[40] https://arabcenterdc.org/resource/israels-normalization-with-arab-states-slows-as-repression-of-palestinians-rises/ أيضًا:-https://www.i24news.tv/en/news/middle-east/157303-171009-israel-and-iraqi-kurdistan-the-oil-connection أيضًا:-https://www.middleeastmonitor.com/20230328-mauritania-israel-relations-suspended-in-2009/ https://www.timesofisrael.com/first-tel-aviv-doha-direct-flight-departs-carrying-israeli-palestinian-soccer-fans/

[41] https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/arab-public-opinion-arab-israeli-normalization-and-abraham-accords أيضًا:-https://arabcenterdc.org/resource/israels-normalization-with-arab-states-slows-as-repression-of-palestinians-rises/ أيضًا:-https://www.inss.org.il/publication/arab-polls/

[42] https://www.alzaytouna.net/2023/09/05/

[43] https://www.reuters.com/markets/currencies/lebanon-devalue-currency-by-90-feb-1-cbank-chief-says-2023-01-31/

[44] https://www.jordantimes.com/news/region/lebanon-conducts-first-ever-census-palestinian-refugees أيضًا:-https://www.nytimes.com/2011/03/03/world/middleeast/03iht-m03-lebanon.html أيضًا:

[45] https://2u.pw/bIOKIYm

[46] https://www.reuters.com/world/india/putin-xi-attend-virtual-sco-summit-hosted-by-indias-modi-2023-07-04/

[47] https://www.reuters.com/world/brics-poised-invite-new-members-join-bloc-sources-2023-08-24/-

[48] https://www.files.ethz.ch/isn/184175/a99d5052ba4147c043a40a58ba8077e1.pdf-

[49] https://www.files.ethz.ch/isn/184175/a99d5052ba4147c043a40a58ba8077e1.pdf-

[50] https://edition.cnn.com/2023/07/28/india/india-opposition-alliance-bjp-modi-analysis-intl-hnk/index.html

[51] -انظر إلى نص محاضرتنا في مؤسسة شومان حول مستقبل النظام الدولي بين الاتجاه الاعظم والاتجاهات الفرعية: https://m.facebook.com/ShomanFDN/videos/1237168133719687/?locale=hi_IN-

[52] https://www.alzaytouna.net/2020/11/04 /

- انظر التفاصيل في الوثائق الرسمية لوزارة الخارجية الروسية الصادرة عام 2023:
- The Concept of the Foreign Policy of the Russian Federation -انظر تحديدا :القسم الثالث من الوثائق، البند رقم 17- الفقرات من 5إلى 8.
https://mid.ru/en/foreign_policy/fundamental_documents/1860586/
انظر أيضًا:

[53] - انظر التفاصيل في الوثائق الرسمية لوزارة الخارجية الروسية الصادرة عام 2023:
- The Concept of the Foreign Policy of the Russian Federation -انظر تحديدا :القسم الثالث من الوثائق، البند رقم 17- الفقرات من 5إلى 8.
https://mid.ru/en/foreign_policy/fundamental_documents/1860586/
انظر أيضًا:
Andrew Monaghan-Russian Grand Strategy in the era of global power competition-Manchester-University Press-2022. Chap.1

[54] -انظر تفاصيل الستراتيجية الكبرى للصين في:

https://www.brookings.edu/articles/the-long-game-chinas-grand-strategy-to-displace-american-order/

أيضًا: وليد عبد الحي-المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010- مركز المارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية-2000، ص(145-186) و ص(203-230).

[55] - https://ec.europa.eu/commission/presscorner/detail/en/ip_23_3623

- أيضًا: https://commission.europa.eu/strategy-and-policy/strategic-planning/strategic-foresight/2021-strategic-foresight-report_en

-حول المشكلات الأقليمية والحدودية بين دول الاتحاد انظر: https://revistaidees.cat/en/problematising-the-role-of-the-eu-in-territorial-sovereignty-conflicts/

- حول المشكلات اللغوية والتجارية..الخ انظر: https://www.socialeurope.eu/europe-facing-three-threats-to-its-future

[56] - Yasuhiro Sakai- Shin Buddhism and Mercantile Economy in Japan The Hikone Ronso- no.432.July 2022.pp .42-46 and 49-51.

[57] - https://foreignpolicy.com/2023/06/24/india-china-biden-modi-summit-great-power-competition-economic-growth/

أيضًا: https://www.pwc.com/gx/en/issues/c-suite-insights/publications/india-rising-5-springboards-to-developed-nation-status-by-2047.html

[58] - https://arabcenterdc.org/resource/international-aid-to-the-palestinians-between-politicization-and-development/

[59] - https://www.unrwa.org/sites/default/files/overall_donor_ranking_2021_0.pdf

[60] - https://merip.org/2019/07/the-shifting-contours-of-us-power-and-intervention-in-palestine/

[61] - للاطلاع على نماذج من استطلاعات الرأي العام الدولي حول القضية الفلسطيني نية انظر التفاصيل في:

https://www.pewresearch.org/short-reads/2023/08/21/how-americans-view-israel-netanyahu-and-u-s-israel-relations-in-5-charts/

https://yougov.co.uk/topics/international/articles-reports/2023/07/03/attitudes-israel-palestine-conflict-western-europe

https://news.gallup.com/poll/472070/democrats-sympathies-middle-east-shift-palestinians.aspx

[62] - https://www.reuters.com/world/middle-east/israeli-poll-finds-49-support-holding-off-gaza-invasion-

أيضًا: https://www.pbs.org/newshour/world/poll-majority-of-americans-sympathize-with-israel-but-growing-number-say-military-response-in-gaza-too-much

أيضًا:

https://thewire.in/world/sympathy-for-israel-has-evaporated-all-eyes-are-on-ceasefire-now

[63] https://www.aa.com.tr/en/middle-east/israel-losing-support-from-global-public-amid-its-relentless-attacks-on-gaza/3059070

[64] - https://www.reuters.com/world/us-public-support-israel-drops-majority-backs-ceasefire-reutersipsos-2023-11-15

[65] - https://www.aa.com.tr/en/middle-east/israel-losing-support-from-global-public-amid-its-relentless-attacks-on-gaza/3059070

أيضًا: https://www.pbs.org/newshour/politics/who-are-the-palestinian-and-jewish-led-groups-leading-the-protests-against-israels-action-in-gaza

[66] - https://www.inss.org.il/publication/war-data- /

[67] - https://www.reuters.com/graphics/ISRAEL-PALESTINIANS/MAPS/movajdladpa /

[68] - تم جمع هذه العناوين خلال الفترة من 11-10- 2023 إلى 1-11 – 2023، وتم وضع عبارة Gaza Current War على الانترنت، ثم اخذ عنوان المقال أو الموقع الالكتروني الذي يظهر ، ثم الاطلاع على مضمون المقال أو الخبر أو التقرير ...الخ، لتحديد مدى تطابق العنوان مع المحتوى للتأكد من توجه المقال، ثم تصنيف العنوان مع أو ضد طرفي الحرب، ثم تم جمع عدد الميدين والمعارضين لكل من الطرفين، وبلغ عدد العناوين 1080 عنوانا، وتم استبعاد أي موقع أو صحيفة تصدر في دولة عربية أو اسلامية بهدف معرفة الرأي العام من خارج هذه المجموعة.